

مغامرة الرفض والتمرد في قصيدة يوميات شقة مفروشة لنزار قباني

Adventure of Refusal and Rebellion in Nizar Qabbani's Poem "From the Diary of a Furnished Apartment"

عراب أحمد*

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف(الجزائر) arabahm2@gmail.com

تاريخ الارسال 2025-07-19 تاريخ القبول 2025-08-22.. تاريخ النشر 2025-09-16

ملخص:

تعدّ التجربة الشعرية العربية المعاصرة فتحاً جديداً في عالم الإبداع الشعري نظراً لظروف انبثاقها وطريقة تشكيلها، ولغياب حركة نقدية مرافقة لنماذجها، حتى لتصحّ أن تكون لغزاً، وممارسة مريبة خارجة عن التقاليد الشعرية الراسخة، من هذا المنطلق تصطف تجربة الشاعر نزار قباني المتراكمة على مدار عقود، ضمن سياق حركية شعرية متفردة، تنزع فنياً إلى إقحام النص الشعري في عالم السياسة والرجّ به في متهاتات الخوف والرعب، والرفض والتمرد.

تفتح هذه الورقة البحثية المجال لمساءلة قضايا النص الشعري الراهنة، وبالأخص في النصوص الشعرية المحضنة لتمييز الرفض والتمرد، كما هو الشأن في "قصيدة من يوميات شقة مفروشة لنزار قباني". باعتبارها تيمات تستقطبها هذه التجارب الشعرية وتغتنّي بها.

الكلمات المتاحية: التجربة، الشعرية، المعاصر، ممارسة، تيمة.

Abstract:

The contemporary Arab poetic experience is anew opening in the word of poetic creativity due to the circumstances of its emergence and the way it was formed ,and the absence of a critical movement accompanying its models, so that it can be considered a mystery, and a suspicious practice outside the established poetic tradition. from this standpoint, the experience of the poet Nizar Qabbani, accumulated over decades, is aligned within the context of a unique poetic movement, which artistically tends to involve the poetic text in world of politics and throw it into the labyrinths of fear and terror, rejection and rebellion. This research paper opens the door to questioning current issues in poetic text, particularly in poetic texts that are purely based on themes of rejection and rebellion ,as is the case in "A poem from the Diary of a Furnished Apartment" By Nizar Qabbani. These themes are embraced and enriched by these poetic experiences.

Keywords: experience; poetic; practice; contemporary; theme.

1. مقدمة:

تنظم تجربة الشاعر نزار قباني المتراكمة على مدار عقود، في سياق حركية شعرية متفردة، تنزع فنياً إلى إقحام الحدث الشعري في عالم السياسة والمغامرة به في متاهات الخوف والرعب، لخلق أفق شعري (فنتاسطيكي) يستعذب فتنة التجريب، ويفتح أسئلة النقد على مسارب الغموض والأسطورة والرمز والإيحاءات والتوهيم، وبالأخص مقارنة النصوص الشعرية الممحضة لتيمة الرفض والتمرد، في "قصيدة من يوميات شقة مفروشة لنزار قباني"، مقارنة تروم استنطاق سياقاتها الخارجية، وتحليل ملاسقاتها، باعتبار أن النص ظلّ لأيديولوجية منشئة، تتمزج في أتونه الأهواء والأنواء، وتتصادى حول نخومه الرؤى والأفكار، لتلامس نبض العالم في جرأة طرح وجسارة موقف.

تروم هذه الورقة البحثية جسّ النبض الشعري القباني، وقياس مؤثراته الفنية انطلاقاً من مطارحة إشكالية البحث التالية: ما علاقة تيمية الرفض و التمرد بالحركية الشعرية الجديدة؟، وما الرؤى الفنية التي انبثقت عن هذا الشكل الجديد؟، هل ستعرف الساحة الأدبية عزلة وانقطاعاً لنفس شعر الرفض والتمرد بموت نزار قباني، وعلى وجه الخصوص نصوصه - الممنوعة -؟ أم ستعرف امتداداً واندرجا ضمن التقاليد الجديدة في الممارسة الشعرية الراهنة؟.

تنحاز المحاولة في اختيار سمتها المنهجي إلى مقارنة نص القصيدة مقارنة سوسيو جمالية، للكشف عن الدوافع والملاسات السياقية، وقياس أثرها في تشكيل وعي سياسي وأدبي رافض و متمرد، بالإضافة إلى معاينة الطريقة الفنية المنتخبة للتعبير عن تجليات موضوعي الرفض والتمرد، انطلاقاً من إجراء منهجي يستنطق في البدء دلالة العنوان باعتباره مدخلاً لفهم ما تشي به بلاغة العنوان. "من يوميات شقة مفروشة".

2. خصوصية التجربة الشعرية العربية الجديدة

1.2 سياقاتها وإبدالاتها الفنية

ارتبطت حركات الشعر العربي الحديث في ممارستها لطقس الكتابة بمسار فكري وسياسي واجتماعي طغت عليه النظرة الغائية لمفهوم الشعر ووظيفته، وانساقاً لهذا المفهوم الكثير من الأسماء بدءاً بتوفيق الصائغ وجبرا إبراهيم جبرا ولاحقاً مُجدّ الماغوط، وانطلاقاً من لحظة الإمعان في تلك النماذج الشعرية المباحثة والخارجة على التعريف الراسخ للشعر العربي، تعددت المحاولات واختلفت حول توصيفه وتسميته، رغم تأييد بعض الأصوات الداعمة لهذا التوجه الفني في ترسيخ بعض المفاهيم الأولية المنشغلة بشكل جلي باندرج قصيدة النثر في التقاليد الشعرية الراهنة، وتوطيد علاقتها بوسائل الرؤيا والكشف، والتي منحتها شرف الولادة والبزوغ، حيث استطاعت قصيدة النثر أن تفتك شرعيتها من خلال فرض شرعية الأمر الواقع، انطلاقاً من طباعة مئات المجموعات المنشورة من نوع قصيدة النثر، وفي غياب سلطة النقد الذي انشغل بقياس قصيدة النثر على الشعر.¹

إن تعاقب نماذج شعرية جديدة على مدار حقبة زمنية معتبرة يعدّ إعلاناً عن ابتكار شكل شعري جديد في حياة الأمة، أرسى تقاليد فنية تصادت إزاءها الرؤى الفنية وتباينت، في اقتراحها وتقاطعها مع الموروث حيناً وابتعادها عنه أحياناً، معلنة عن ميلاد ذائقة شعرية متفتحة على فضاء شعري إنساني النزعة، ومتعدد المرجعية الفكرية والفنية، أخصبت في بيئة عربية عصفت بها الأهوال وتلاعبت بمصائر شعوبها الإخفاقات المتوالية لأنظمة حاكمة، أثبتت فشلها وقصر نظرها في تحقيق طموحات شعوبها، وقد أعلنت عن موت جيل البطولات مع موت البطل التّموزي، وإحلال منطق المصلحة التي تنبأها شخص الحاكم المخلص، وفي خضمّ هذا الوضع السياسي، أعلنت القصيدة الجديدة تمرداً ورفضها الانصياع للأمر الواقع، والخروج على طقوس الاحتفاء والموالة للسلطة الحاكمة .

لم تعد الكتابة الشعرية في ظل هذه الأوضاع السياسية السائدة ترضخ لسلطة لتقليد، أو تردعها لغة التهديد والوعيد، مادام ديدن القصيدة -منذ زمن بعيد- يوثق لبداية فهمنا للبعد النظري لحداثة الشع، عند هؤلاء الشعراء، والتي تنطلق من ذلك الشعار الذي رفعه أبو تمام، عندما قال: "كل شيء غث إذا عاد"، ولم يكن أبو تمام يشير بذلك إلى تفرد قصيدته فحسب، بل كان يشير إلى أن الشاعر لا يمكن أن يكون نسخة من غيره، وأن الشعر لون من الخلق المجدد، لا يتمّ إلا بإدراك مجدد، لقد آمن هؤلاء الشعراء، بطرائق متباينة ودرجات متفاوتة أن الحاضر الذي يعيشونه ليس الماضي بلا علاقاته، أو أنسقته أو قيمه كما آمنوا أنهم لا يمكن أن يصوغوا هذا الحاضر المتغير جمالياً معتمدين على السماع أو التقليد.²

انحازت الكثير من هذه النماذج الشعرية في بنيتها ورؤاها إلى مسيرة التجربة الغربية، بل و انسحقت في أتونها، اعتقاداً منها بأن الممارسة الإبداعية السابقة لم تعد تحقق للشعرية العربية الحديثة طموحها المنشود في انعتاقها من قبضة الأنموذج الأوحّد المحتذى، على الرغم من المحاولات الداعية إلى ضرورة مراجعة التراث الأدبي العربي ومسائلته في ضوء رؤى نقدية موضوعية، متسلحة بالروح العلمية ومتجاوزة بذلك النظرة الأدبية الضيقة، المبنية على تقديس البعد القومي للأدب منظورا وممارسة، ومن ثم استتبع تلك النظرة بخطوات جريئة غيرت كثيراً من تلك المسلمات، وانفلتت النظرة النقدية من أطر البحث في قضايا الشعر إلى قضايا القصيدة، ومن النظرة إلى البيت الشعري لتنتقل إلى السطر والجملة الشعرية، واستقر المطاف بالمفهوم إلى إثر ذلك إلى إقرار ملاحظة هامة مفادها " أن شعرية الحداثة لم تكتف بما اسهدفته بعض المراحل الشعرية السابقة من تصوير الواقع، أو نقله من التكوين الوجودي إلى التكوين اللغوي، ولم تعد تكتفي بنقد الواقع وتعريته، أو حتى بمحاولة تعديله، إنها تسعى لإنتاج واقع جديد، ولكل مبدع شروطه التي يستحضرها لحظة هذا الإنتاج"³.

والحاصل منذ أن تبنت جماعة شعر قصيدة النثر شتاء 1958، وهو تاريخ أول لقاء شعري مع مُجدد الماغوط نظّمته الجماعة، والمحاولات تتكرر في سبيل تقديم نماذج شعرية تطرح نفسها باعتبارها مشروعاً بديلاً لمرحلة شعرية جديدة، تؤسّس لخطاب شعري عربي معاصر، مستقلّ عن الأشكال الشعرية الأخرى، ومنقطع عنها، يشيّد صرحه

الفني على مباحثة الذاكرة الشعرية العربية، وترسيخ معايير ذاتية جديدة، ترفع الكثير من الحرج عن المروق السافر على تلك التقاليد الفنية المستنفدة، وعلى رأي دعاة التجديد "فإن الشاعر المحدث مضطر إزاء سطوة نقد معاد، أن يمارس بعض دور الناقد، فيحدد ويصف، كما أنه مضطر إلى أن يبرر شعره ويكشف عن جوانب حديثه".⁴

تعدّ التجربة الشعرية الجديدة مغامرة في حدّ ذاتها لم يحسب لها حساب، نظرا لظروف انبثاقها وطريقة تشكيلها، ولغياب حركة نقدية مرافقة لهذه النماذج، حتى لتصحّ أن تكون لغزا، وممارسة مريبة خارجة عن التقاليد الشعرية الراسخة، تدين بفضل الاحتذاء لنموذج ت-س - إليوت وبودلير، كما تمثلها لويس عوض وأنسي الحاج و أدونيس وإبراهيم شكر الله وآخرون، عرضت نفسها على الساحة الأدبية باعتبارها تجربة جديدة بتمثيل مرحلة حرجة من تاريخ الأمة، اصطدمت بواقع فكري و سياسي واجتماعي مضطرب، فتاريخ الشعر في نظر إلياس خوري "إشارة لمسار ثقافي، لن يأخذ معناه الحقيقي، إلا حين يكتب بلغة الصراعات وبأفق مفتوح، ويشارك بذلك في تأسيس لغة جديدة".⁵

2.2. فنية المختلة بالعنوان:

لا تنفد صيغة العنوان اللفظية "من يوميات شقة مفروشة" من الوهلة أي رباط عضوي بطبيعة الجنس الأدبي الشعري، فضلا عما تقتضيه الخاصية الشعرية من تعامل خاص مع العنوان، ونظرا لما توطأت عليه القصيدة العربية من تقاليد في انتداب عناوين تستل في العادة من رحم القصيدة، وهو ما يمكن الاستئناس إليه من تبرير منطقي، باعتبار أن القصيدة تكررت فيها صيغة العنوان في أكثر من موضع، وهو تكرار أشبه ما يكون بتعويض عن استهلال، ينقل القارئ إلى جو القصيدة، "وهنا تكمن أهمية العنوان الذي غالبا ما يكون قد اختير بعناية غير عادية من المنشئ، مما يجعله بنية تؤدي دورا مهما في بيان ملامح التجربة".⁶

تنطوي هذه الصيغة التركيبية على اختيار مجازي موفق، يقف فيه العنوان على طرفي صورة تشبيهية شديدة الاختزال والتكثيف، موجهة إلى اختبار فطنة المتلقي في تحديد وظيفة العنوان، في علاقته بجنس الأثر من جهة، وفي ترسيم معالم دلالة نص القصيدة من جهة ثانية، ذلك أن استعارية العنوان أو العنونة، تأخذ رسمها الإملائي على النحو التالي: "مشاهد من يوميات بلاد تشبه شقة مفروشة".

ينتمي العنوان إلى فئة العناوين الموضوعاتية، غير أن بنيته الإسمية الممحورة حول موضوع "الشقة المفروشة" ورمزيته تجعل لهذا التحديد الموضوعاتي إحياءات خطائية تشي بانفتاح القصيدة على السرد والحكاية في بناء متخيله الشعري، وهي لا تعدو أن تكون مبدءا شعريا في حدّ ذاته، يمنح النص خاصيته الشعرية، فضلا عن الخاصية النثرية، التي يتمتع بها العنوان، ألا و هي الظلال السردية التي يسدها على نص القصيدة من البدء إلى النهاية، وهنا يناط بالعنوان تحقيق وظيفة إدماج جنسين أدبيين في نص واحد، وبالتالي تنتفي الملاحظة السالفة المتمثلة في بعد العنوان عن المتن الشعري، مثلما يفصح عنه المقطع الافتتاحي .

هذي البلاد، شقة مفروشة

بملكها شخص يسمى عنتره.

يسكر طول الليل عند بابها

ويجمع الإيجار من سكانها

ويطلب الزواج من نسائها

ويطلق النار على الأشجار، والأطفال،

والعيون، والأثداء..

والضفائر المعطرة...⁷

لا يمكن بأية حال قراءة العنوان "من يوميات شقة مفروشة" بمعزل عن هيمنة الصيغة البلاغية عليه، والتي تشكل بؤرة شديدة التركيز لمنظور دلالي، يوجه فعل القراءة صوب مكاشفة مدارات الرفض والتمرد التي تفيض بها القصيدة، بدءاً ببلاغة العنوان التي لا تقف على حدود ما تنثره فنية التشبيه من ظلال دلالية عليه، بل تتجاوز ذلك إلى الفضاء بوصفه عنصراً وفضاء للنص ككل، حينما تضفي عليه حالة من الغرابة والحيرة، وتعلن عن خروج مباغت على قواعد الكتابة الشعرية، باعتبار أن "أن عنواناً معيناً يمكنه أن يحدد هوية العمل وإنجاز فعل التسمية، كما يمكن أن يغوي الجمهور أو القارئ، من خلال ما يقترحه من صياغة أسلوبية، أو استعارية فائقة دون أن تكون له ذات القدرة على تعيين مضمون العمل".⁸

والمحصل أن عنوان القصيدة تمّ الاشتغال عليه في بعده الفضائي أيضاً، وإقحامه بوعي في لعبة شعرية ساخرة وجريئة، شاهدة على مسخ المكان (البلاد/شقة/مفروشة) جسّد نزار قباني من خلاله موقفاً سياسياً، أسقط خرافة الحاكم القوي في البلد المسخ، وقد ألحق بالعنوان في المقطع الاستهلاكي تعارضاً خلاقاً بين صورة الحاكم المالك لهذه البلاد، والذي استقوى بعنترته وغطرسته في إدارة شؤون شقته (السكر/العريضة/جمع الإيجار/طلب الزواج/التعدد/المتعة القتل/ تنفيذ أحكام الإعدام/ مصادرة الحياة)، وهي صورة نمطية مكررة تشكّلت في الأغلب الأعم في قصائد نزار المنوعة، غايتها تحرير الصوت الجماعي المشدود إلى طقوسية تكرير الماضي، كما تجسّد منزعا شعرياً تتقاطع حوله المضامين في تيمات محددة، كالرفض والتمرد والقلق، حيث "تنكشف الحداثة الفكرية بوصفها حادثة تقوم على منطق الثورة والتمرد والكشف والخلق والمغامرة"⁹

3.2 تقويض سياق الحكاية:

يفتح الكون الشعري لمثن القصيدة "من يوميات شقة مفروشة" على عالم الحكاية والخرافة، حيث يستلهم الشاعر طقس الحكاية مع استهلال نص القصيدة باللحن الافتتاحي، في إشارة منه إلى إعلان مراسيم الحكاية على النحو التالي:

هذي البلاد، شقة مفروشة

بملكها شخص يسمى عنتره.¹⁰

فسيرة عنتره كما تناقلتها الرواية وحيكث حولها الأخبار، ذكرت في سياق وضع تاريخي وسياسي وفكري، غلب عليه طابع البداوة وقيم الجاهلية، تناقض سيرة عنتره على مستوى نص القصيدة، وعلى مستوى منظومة القيم الحالية الساعية إلى البحث عن شرعية تاريخية في صورة بطولة الحاكم المتفرد في حكمه، وهنا يمكن القول "إن الهزائم المتوالية وانقسام العرب وتطاحنهم هزّ المثل العليا في نفوس الجيل المعاصر، وسرت في النفوس الخيبة والمرارة، والخذلان، وضاعت الثقة بأنفسهم، فانصرف الشاعر والكاتب إلى السلبية والبكاء والحزن".¹¹

تسعى القصيدة على ما يبدو إلى تقويض سلطة الحكاية أو الرواية، التي أسهمت في بناء أسطورة عنتره، باعتبار أن عملية التقويض والهدم شكل من أشكال الرفض والتمرد على مستوى المضمون الشعري من جهة، حيث لم تسلم الرواية من المنظور النقدي من انتقاد طال صحة الأخبار التي تناقلها رواة الشعر، ومن جهة ثانية، باعتبار استحضر الحكاية تقنية فنية تبني عليها القصيدة العربية المعاصرة إبداءها الشعري، وعلى أساس هذا المعطى الفني يتضح أن "استدعاء الشخصية التراثية يتم معه استدعاء قطعة من التاريخ الخاص بالشخصية، ليلتحم مع تاريخية الاستدعاء، ليسقط الشاعر على واقعه زمنين في زمن واحد، محققاً من خلال الاستدعاء رغبة نفسية وفنية ملحّة لمواجهة الواقع المعيش، ويكون الاستدعاء بالتآلف أو التخالف".¹²

ينبثق موقف الرفض من تمرد النص الشعري على خرافة البطل عنتره، والذي توارد ذكره باعتباره شخصية فنية إشكالية في النص، تم الإشارة إليه بالاسم تسع عشرة مرة، وبالضمير تسع عشرة مرة، ومرة بالوصف الجنرال عنتره، ومرة بنسبه عنتره العبسي، وفي سياق هذا التماهي الخلاق بين الشخصيتين يمارس عنتره الجنرال طقوس الأبوية المطلقة على الرعية، كما كان يمارس عنتره العبسي شعائر المقايضة والهدي بالقصيدة*، حينما قايض حريته وحب عبلة بنص قصائده ليدافع عن قبيلته، وهنا تنبيه إلى عادة دأب عليها شعراء القصيدة الكلاسيكية في العهود الشعرية السالفة في المواسم والأعياد والمناسبات، يعلنون فيها طقوس الولاء، "مما أدى إلى اتهام الشعراء بالتزلف والمداهنة والتشكيك في نواياهم".¹³

هذي البلاد

يمنح الكتاب فيها صوتهم

لسيد المثقفين عنتره.

يحملون قبحه.

يؤرخون عصره.

وينشرون فكره. ويقرعون الطبل

في حروبه المضفرة...¹⁴

وفي كل اليوميات يقتحم عنتره المشهد السردى لهذا البلد في الإعلام والإشهار ودور السينما، وفي المدارس وفي الخطاب السياسي والثقافي، ويندس في الثياب والأكل وفي كل التفاصيل اليومية، إنه رفض متصل بمظهر

أودبي و بالرغبة في قتل الأب والتخلص من تاريخه، وعبء إديولوجية الاحتواء المندسة في الخطاب السياسي العربي السائد، ووفق هذه الرؤية ينهض الرسم الشعري على توالي الأخبار وتغذية الصراع صوب بناء السرد ذي ملمح درامي، في بنية نصية شديدة الاختزال والتكثيف، محافظة على شكلها الشعري، حيث "يقوم البناء الشبيه بالسرد على الاستعانة بعناصر سردية كالشخصية والحدث المتنامي الذي يتطور ويقود إلى تحول ونهاية، ولكنه لا يقدم قصة إنما يقدم حالة وموقفا ورؤية".¹⁵

لا يستغنى الشعر عن الحكاية في بعدها الوظيفي والفني، فصوره و مشاهدته تتراءى فيها و تتوارد إلى الشاعر في ذلك التمثيل الحكائي الذي تستذكره الرواية أو الذاكرة لغاية وعظية أخلاقية، أو لداعي التسلية، وفي كل الأحوال تشيع النصوص الشعرية المعاصرة بعقب الحكاية، وبطابعها الشفهي المتحرر من قيد الكتابة الرسمية، لتستلهم منها الدروس والعبر في زمن الرقابة على النصوص الشعرية، وهنا "يكون الشعر أكثر وجوه المناشط الإنسانية استثمارا للحكاية، و طبا لها و استنفارا لرموزها، فهو يعتمد على اللغة التي تحمل إشاراتها الإشارة إلى المدلول في حركة العلاقة بهذا الاسم".¹⁶

3. مدار الرّفض والتمرد في نص القصيدة

1.3. خصوصية المعجم الشعري دلالاته الانفعالية

ينبسط مناخ القصيدة "من يوميات شقة مفروشة" على ما يوفره لها معجمها الشعري من مناخ نفسي ودلالي، يساهم في ترسيخ وعي حدثي بملازمات كتابة النص وقراءته، في ضوء المتغير السياسي والشعري الذي صاحب هذه المرحلة من تاريخنا المعاصر و المنفتح على وجه الخصوص على العولمة، وقد اتسمت بحساسية مفردة حيال تقبل الذات الشاعرة لمنطق إرادة السلطة المطلقة، ورفضها لكل أشكال الهيمنة وامتهان كرامة المواطن، فالشاعر عندما يمارس عملية الخلق، إنما ينطلق من وعيه الدرامي بالحياة، ونعني به ذلك الوعي الذي يكشف الشاعر في ضوءه هول اللا معنى، لا معنى الحياة، ويستفيق على ما يجري خارج حدود ذاته، فيرى الفوضى على أشدها في كل ما ليس هو".¹⁷

انتظمت مفردات معجم الرّفض والتمرد في نص القصيدة على شكل حلقات موزعة على ثلاثة عشر مشهدا، يعضد بعضها بعضا لرسم تفاصيل صور تراجيدية مؤلمة لبلد تتحكم في مصيره سلطة متغطسة، وعلى هذا الأساس بات من الضروري الإقرار منهجيا "أن تناول المعجم الشعري للتجربة يسهم بوضوح في كشف عوالمها الداخلية، كما يسهم في تلمس معالم رؤياها".¹⁸

الملاحظ أن المتن اللغوي لنص القصيدة المنتخبة لهذه الدراسة، شأنه شأن بقية المتون المتضمنة في الجزء السادس من الأعمال السياسية الكاملة لنزار قباني، والمصدرة في الصفحة الأولى بعبارة "قصائد مغضوب عليها"، يغلب عليها مفردات الامتلاك والذل و الاحتواء و الوجع و الاستباحة، و القهر والاستبداد، و الخوف و الموت، ففي كل دائرة من هذه الدوائر المعجمية تصطف مفردات الملكية والاحتواء كما في المشهد الأول والثاني

والثالث: هذي البلاد، شقة مفروشة / يملكها شخص يسمى عنزة / هذه البلاد كلها مزرعة شخصية لعنزة/ كل البناءات هنا يسكن فيها عنزة، وفي الدائرة الرعب والقلق والتوجس يتقمص عنزة كل الأدوار، ويمتهن كل الوظائف ويتجسد في كل الوثائق الرسمية ليشع على المشهد اليومي هالة من صوره النمطية المكبرة، كما تترأى في المشهد الرابع: عنزة يقيم في ثيابنا/ في ربطة الخبز/ في زجاجة الكولا/ في أحلامنا المحتضرة/ في عربات الخس والبطيخ/ في الباصات/ في محطة القطار/ في جمارك المطار/ في طوابع البريد/ في ملاعب الفوتبول/ في مطاعم البييتزا/ في كل فئات العملة المزورة.

اتسم المعجم الشعري في هذه القصيدة بخصوصية لغوية مفارقة، تساير الواقع وتطرح إشكالاته، وتحلل عقده بألفاظ بسيطة، فرضت حضورها من أول سطر شعري من القصيدة إلى نهايتها، لتشكل لوحة شعرية مبتدلة، لكن ذات نزعة إيحائية، وقد انتزع - هذا المعجم - مفرداته من دوائر الخطاب اليومي مركزا على دقة تفاصيل الحياة اليومية ومفارقاتها العجيبة، ليعلن صراحة عن رفضه سياسة فرض أمر الواقع وتشبيته في عالم الفوضى واللامعنى، كما دلّت عليه مفردات القصيدة: /زجاجة الكولا /الخس و البطيخ/ ملاعب الفوتبول/ مطاعم البييتزا / الحمام/ المرحاض/ نكهة القهوة / زجاجة الثقافة / اللغة المدورة / خربشات / القبح / السجن/ المقبرة/ تابوت/ السرادق/ الجنائز/ القبر.

إن القصيدة التي ألبست عنزة العبسي ثوب البطولة والعفة والسؤدد، وإن بالغت في الفخر ووصف الفروسية، ذلك أن صورة الشاعر مادحا وممدوحا خاضعة لتقاليد فنية صارمة تخضع لها القصيدة، والشاعر يرقى بمؤشر القصيدة جودة وعذوبة على قدر ما توشحته -قصيدة الفخر- من ألفاظ معجم الفخر والبطولة والبذل ونكران الذات، وهي أوصاف خلّدت ذكر الشاعر الفارس عنزة، بغض النظر عن درجة ما بلغته هذه المعاني من الصحة والكذب، مادام القياس يرفع الشعر بمقدار كذبه لا بصدقه.

وفي قصيدة نزار "من يوميات شقة مفروشة" تنزل القصيدة بعنزة منازل الدم والقذح والهجاء، ذلك أن صورة شخص عنزة -المعاصر- انزاحت عن المعيار البطولي و النمذجة الشعرية، لتعبر عن تمرد النص ورفضه الخوض في لعبة النفاق والتزلف لشخص الحاكم عنزة، وقد عبر عن هذا الرفض على النحو التالي:

لا شيء في البرنامج الثاني سوى

عزف على القانون

من مؤلفات عنزة.

وباقة من أردأ الشعر ..

بصوت عنزة..

ولوحة زيتية

من خربشات عنزة...¹⁹

إن توظيف الشاعر لهذا النمط من أسلوب الاستثناء المنفي الناقص، يخلع عن شخص عنتره هالة التبجيل والتعظيم المكرسة لمنطق الاستثناء بمعاني العنترية في كل مناحي الحياة، ويهدم نمطية الصورة المقلدة، والتي لا تعدو أن تكون ضرباً من المحاكاة المشوهة كما عرفها أفلاطون، فصورة عنتره في نص القصيدة لا تنم إلا عن موقف سياسي صميم ونظرة نقدية ساخرة صوب الحاكم، "فحين يتكون لدينا المعجم الشعري لهذه القصيدة أو تلك فإنه يكون قد تكونت لدينا- بالتالي، وبصفة تقريبية - تلك الدوائر التي تشكل نظرة الشاعر إلى الوجود."²⁰

2.3. مأساة المدينة

لم يكن موضوع المدينة بعيداً عن التناول الشعري، شأن الكثير من المواضيع والقضايا المطروحة على الساحة النقدية، والتي طالتها أقلام النقاد والدارسين دراسة وتحليلاً، وقد سجلت القصيدة العربية مع تبشير الحداثة أولى تجاربها مع موضوع المدينة في تعارضها مع قيم القرية والريف، وتواصلت تلك التجارب تقرب في حذر التحولات العميقة التي طرأت على مجتمع المدينة الحالم بقيم العدالة والحرية المؤجلة، مثلما وعدت بها الشعارات السياسية، وتناهى إلى أسماع الشعراء والأدباء والفنانين إثر ذلك أن المدينة ملاذ الحالمين وصانعة مجدهم، وانصهرت تلك النماذج الشعرية في تجربة جديدة، نقلت النص من نوستلجي القرية ودفء الريف إلى عوالم المدينة ودهاليزها المظلمة، وغدت شعرية القصيدة إثر ذلك "تشتغل على آركولوجيا المعرفة بالمكان بلغة ميتا - شعرية تستدعي إلى الذهن أو الذاكرة مستويات اللغة المهملة والمنسية والمغمورة، وبرؤية ميتا- شعرية تنشئ علاقات تناصية مع رموز وشخصيات ومقامات ميثولوجية وأسطورية وفلكلورية، وهذا ما يجعل شعرية القصيدة دراسة في تاريخ جغرافيا المكان."²¹

يقاسم نزار قباني في هذه القصيدة نظرة الشعراء المعاصرين في تناولهم لتيمة المدينة، باعتبارها فضاء قسوة واستلاب، فقلما يحتفي نص شعري بالمدينة أو يروج لقيمها في ضوء متغيرات كثيرة مست البنى السياسية والاجتماعية و ثقافية للمجتمعات العربية، وكان لفضاء المدينة العربية النصيب الأوفر من هذا التناول الشعري، واستحالت النظرة إليها تعبيراً عن موقف سياسي، تحتلجه معاني الرفض والتمرد على أساس "أن المدينة التي ترسف في أغلال العبودية، أو تمارس الظلم والاستعباد مع أهلها مدينة كئيبة"²²، وفي هذا الشأن يقول نزار قباني :

مدينة مهجورة.. مهجرة ..

لم يبق فيها فأرة، أو نملة..

أو جدول، أو شجرة..

لا شيء، فيها يدهش السياح

إلا الصورة الرسمية المقررة

للجنرال عنتره.²³

يحتزل نزار قباني موقف الرفض والتمرد على الأوضاع في صورة المدينة الفاقدة لمعاني الألفة و الأنس، وقد أفرغها الحاكم من ساكنيها، فأضحت خلوا مهجورة ومهجرة، وبالتالي تتبنى القصيدة المعاصرة في عينة نزار قباني قضية المدينة في نضالها المشروع ضد أشكال الاستبداد والهيمنة والتخلف، وتطالب في الوقت نفسه باسترداد دورها الحضاري والثقافي الذي يجب أن تضطلع به على غرار المدن المتحررة من قيد التبعية لعنصرية الحاكم، لا تقل أهمية عن مدينة يدين لها بالفضل، فهو يقول في بعض حواراته: "(.. باختصار بيروت لم تجلس على أصابعي ولم تقطع أصابعي ولم تفتح لي محضر تحقيق بعد كل قصيدة كتبتها أو كل امرأة أحببتها..)".²⁴

4. خاتمة:

تصطف تجربة الشاعر نزار قباني المتراكمة على مدار عقود، إلى جانب أصوات الشعراء الداعين إلى إدراج قصيدة النثر ضمن التقاليد الشعرية الراهنة، وتوطيد علاقتها بوسائل الرؤيا والكشف، وتمكينها من الإجابة عن أسئلة النقد.

ينتمي عنوان القصيدة "من يوميات شقة مفروشة" إلى فئة العناوين الموضوعاتية، غير أن بنيته الإسمية المتصلة بموضوعة "الشقة المفروشة" ورمزيته، تجعل لهذا التحديد الموضوعاتي إحياءات خطابية، تعد بانفتاح القصيدة على عوالم السرد والحكاية في بناء متخيلها الشعري.

إن عنوان القصيدة تمّ الاشتغال عليه في بعده الفضائي، وإقحامه بوعي في لعبة فنية ساخرة وجريئة، شاهدة على تمسخ فضاء (البلاد/شقة/مفروشة)، إعلانا عن موقف سياسي رافض لسلطة الحكاية والخرافة. غلب على نص القصيدة على غرار بقية النصوص المتضمنة في الجزء السادس من الأعمال السياسية الكاملة لنزار قباني، والمصدرة في الصفحة الأولى بعبارة "قصائد مغضوب عليها" مفردات الامتلاك والذل والاحتواء و الوجد و الاستباحة، و القهر و الاستبداد، و الخوف و الموت.

اتسم المعجم الشعري في هذه القصيدة بخصوصية لغوية مفارقة، تساير الواقع وتطرح إشكالاته، وتحلل عقده بألفاظ بسيطة فرضت حضورها من أول سطر شعري من القصيدة إلى نهايتها، لتشكّل لوحة شعرية مبتدلة، لكن ذات نزعة إيحائية، وقد انتزع - هذا المعجم - مفرداته من دوائر الخطاب اليومي، مركزا على دقة تفاصيل الحياة اليومية ومفارقاتها العجيبة، ليعلن صراحة عن رفضه سياسة فرض أمر الواقع وتشيئه في عالم الفوضى واللامعنى.

1. عز الدين المناصرة :إشكاليات قصيدة النثر(نص مفتوح عابر للأنواع)المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1 ،لبنان، 2002 ،ص234.
2. ينظر جابر عصفور:قراءة التراث النقدي ، مؤسسة عيال للدراسات والنشر، ط1قبرص، 1991 ،ص113.
3. سامية راجح ساعد:تحليلات الحداثة الشعرية في ديوان البرزخ والسكين للشاعر عبد الله حمادي ، عالم الكتب الحديث، ط1 الأردن ، 2010، ص 19.
4. جابر عصفور:قراءة التراث النقدي ، (مرجع سابق) ص113 ص 114.
5. إلياس خوري: دراسات في نقد الشعر، دار ابن رشد ، ط 2 ، لبنان ، 1981، ص 24، ص 25.
6. مُجدعبدو فلل: في التشكيل اللغوي للشعر(مقاربات في النظرية والتطبيق)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دط، سورية 2013، ص 43.
7. نزار قباني:الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، ج 6 ، ط 2، لبنان ، 1999، ص 541.
8. نبيل منصر:الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، ط 1 ،المغرب ، 2007، ص 45.
9. سامية راجح ساعد : تحليلات الحداثة الشعرية في ديوان البرزخ والسكين للشاعر عبد الله حمادي ، (مرجع سابق) ص 38.
- 10.المصدر السابق ص541.
- 11.يوسف عزالدين: التجديد في الشعر العربي الحديث (بواعث النفسية وجذوره الفكرية) ، دار البلاد ، ط1، جدة، 1986 ،ص 112.
- 12.عبد الناصر هلال :تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر ، مركز الحضارة العربية ، ط 1 ، مصر، 2005 ،ص 39.
- ينظر: كتابي سوزان بنكيني ستيكفيتش، القصيدة الأسطورة، الجنوسة، والمراسم في القصيدة العربية الكلاسيكية، و أدب السياسة وسياسة الأدب.
- 13.سوزان بنكيني سكتيتكفيتش:أدب السياسة وسياسة أدب، تر،حسن البنا عزالدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، مصر 1998، ص 55.
- 14.المصدر السابق ص 549.
- 15.أحمد زياد محبك : قصيدة النثر، إتحاد الكتاب العرب، د ط، سورية، 2000، ص 43.
- 16.عالي سرحان القرشي: أسئلة القصيدة الجديدة، الانتشار العربي، ط1، بيروت ، 2013، ص 10.
- 17.لطفی اليوسفي: لحظة المكاشفة الشعرية ،إطالة على مدار الرعب، سراس للنشر، دط، تونس ، 1998، ص 173.
- 18.المصدر السابق ص 548.
- 19.يوري لوتمان:تحليل النص الشعري، بنية القصيدة ، تر، مُجد فتوح أحمد، دار المعارف دط، القاهرة ، 1995، ص 126.
- 20.عباس عبد جاسم:جماليات الخروج على سلطة النموذج، دار الحوار للنشر والطبع ، ط1، سورية 2014 ، ص 17.
- 21.مختار علي: المدينة في الشعر العربي المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة، دط ، الكويت، أبريل 1995، ص 185.
- 22.المصدر السابق ص 545.
- 23.يوسف عزالدين: التجديد في الشعر العربي الحديث ، (مرجع سابق) ص 207، ص 208.

6. قائمة المراجع:

1. أحمد زياد محبك : قصيدة النثر، إتحاد الكتاب العرب، د ط، سورية، 2000 .
2. إلياس خوري: دراسات في نقد الشعر، دار ابن رشد ، ط 2 ، لبنان ، 1981.
3. جابر عصفور: قراءة التراث النقدي ، مؤسسة عيال للدراسات والنشر، ط 1 قبرص، 1991.
4. سامية راجح ساعد: تجليات الحداثة الشعرية في ديوان البرزخ والسكين للشاعر عبد الله حمادي ، عالم الكتب الحديث، ط 1 الأردن ، 2010.
5. سوزان بنكيي سكتيتكفيتش: أدب السياسة وسياسة أدب، تر، حسن البنا عزالدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط ، مصر 1998،
6. عباس عبد جاسم: جماليات الخروج على سلطة النموذج، دار الحوار للنشر والطبع ، ط 1، سورية 2014.
7. عبد الناصر هلال : تراجم الموت في الشعر العربي المعاصر ، مركز الحضارة العربية ، ط 1 ، مصر ، 2005.
8. عالي سرحان القرشي: أسئلة القصيدة الجديدة، الانتشار العربي، ط 1، بيروت ، 2013.
9. لطفي اليوسفي: لحظة المكاشفة الشعرية ، إطلالة على مدار الرعب، سراس للنشر، دط، تونس ، 1998.
10. محمد عبدو فلغل: في التشكيل اللغوي للشعر (مقاربات في النظرية والتطبيق)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دط، سورية ، 2013.
11. مختار علي: المدينة في الشعر العربي المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة، دط ، الكويت، أبريل 1995.
12. نبيل منصر: الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، ط 1 ، المغرب ، 2007.
13. نزار قباني: الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، ج 6 ، ط 2 ، لبنان ، 1999.
14. يوري لوتمان: تحليل النص الشعري، بنية القصيدة ، تر، محمد فتوح أحمد، دار المعارف دط، القاهرة ، 1995.
15. يوسف عزالدين: التجديد في الشعر العربي الحديث (بواعث النفسية وجذوره الفكرية) ، دار البلاد ، ط 1، جدة ، 1986.